



الى أنه المؤسس لهذا الاتجاه العظيم . فكان بذلك النابعة الفذ ، الذي لم يماثله في نبوغه أحد من معاصريه ، فقد جمع إلى القدرة الفنية ، الاحاطة بالهندسة والرياضة والعلوم الطبيعية والميكانيكا التطبيقية والموسيقى والشعر ، كما كان مهندساً معمارياً قديراً ومثالاومصوراً .

ليوناردو دافينشي

الرجل الكامل

LEONARDO DA VINCI

للدكتور أحمد موسى

— ١ —

من أزهى عصور الفن في أوروبا عصر الرفعة الإيطالية الذي اتجه فيه الفن منذ بدء القرن السادس عشر اتجاهاً مثلياً سواء في النحت أو التصوير .

وكان الميل كله منصبا على التعبير عن المثل الأعلى في النحت ، وكان العطش نحو السكال الفني بالغاً أشده ، الأمر الذي ترتب عليه اتجاه الفنانين إلى الجمع بين الجمال السامي وبين المشاهد الحية :

فعمل الفنانون العارفون على دراسة الفن الاغريقي والتبحر فيه والفورس إلى أحماقه ، مستلهمين منه الوحي ، ساعين وراء درره الفذة ، التي لولاها لما أمكن وصول الفن في عصر الأحياء إلى ما وصل اليه ، بما يحار المشاهد في تعليل المقدرة الهائلة التي ذهبت به إلى هذه الناحية العالية ، التي كانت ولا تزال رمزاً يتجه اليه الفنانون والعاشقون بكلتهم ووجدانهم .

وعلى ذلك لا مناص من اعتبار عصر الرفعة عصر إحياء للفن الكلاسيكي في جوهره ، واقتباس منه في مظهره ، ورجوع اليه في أساسه ، واستلهام منه في خياله .

ويرى المشاهد لما تركه أساطين الفن في القرن السادس عشر بإيطاليا ، أن الغاية كانت الوصول إلى أسنى وأكمل تكوين كلى ، وأرفع وأجل مجموع إنشائي ، كما يلاحظ أن التصوير الزيتي أصبح تصويراً تاريخياً أكثر منه اجتماعياً أو منظرياً .

ولم يفز بدرجة الوصول في القرن السادس عشر إلا ثلاثة هم : ليوناردو ، وميكيلانجلو ، ورفائيل .

وإذا كنا قد تخيرنا اليوم ليوناردو دافينشي ، فإن ذلك راجع



١ — المادونا في المفارة ، متحف اللوفر

وعرف عنه أنه كان جميل الخلق جميل الطلعة نبيل الأصل ، فلا غرابة إذا أطلق عليه المؤرخون « الرجل الكامل » . كتب في كثير من الابحاث ، وله فيها آثار جليلة ، من أهمها لتاريخ الفن كتاباه البديعان « قواعد علم التصوير » ، و « الصناعة والجمال » . ولكن جوهر حياته ، وأعظم ما أنتج ووصل إلى الذروة فيه كان التصوير الذي اتخذته مهنة له عاش من أجله لتأدية رسالته فيه .

ولد ليوناردو سنة ١٤٥٢ في فيلاردينشي في حدود مقاطعة فيرنزا (فلورنسا) ، جاء صغيراً مع أبيه بيرو دافينشي إلى فلورنسا العاصمة، وترى تربية عليبة إلى أن التحق بالعمل عند اندريا فيروتشي، واستمر لديه حتى سافر إلى روما في مارس سنة ١٤٨٠ ، وأقام فيها إلى يوليو سنة ١٤٨١ ثم عاد إلى فلورنسا . على أن لوحات ليوناردو الأولى ليست معروفة كلها ، وقد أحاط بها شيء من الغموض لا يمكننا من تارها جميعاً بالفحص الوصف . ولكن هذا لا يمنع من أن نذكر أهم لوحتين له في مرحلته الفنية الأولى ، وكلتاها تمثل (التبشير) ، توجد الأولى بالوفر ومؤرخة سنة ١٤٧٠ ، والثانية بالجاليري أو فيتزي بفلورنسا مؤرخة سنة ١٤٧٢ ، وفيها ترى العذراء جالسة إلى مدخل بيتها وعلى يسار اللوحة ركع ملاك يبشرها بالمسيح ، وفي مؤخر المنظر مجموعة أشجار ذات لون طبيعي جميل .

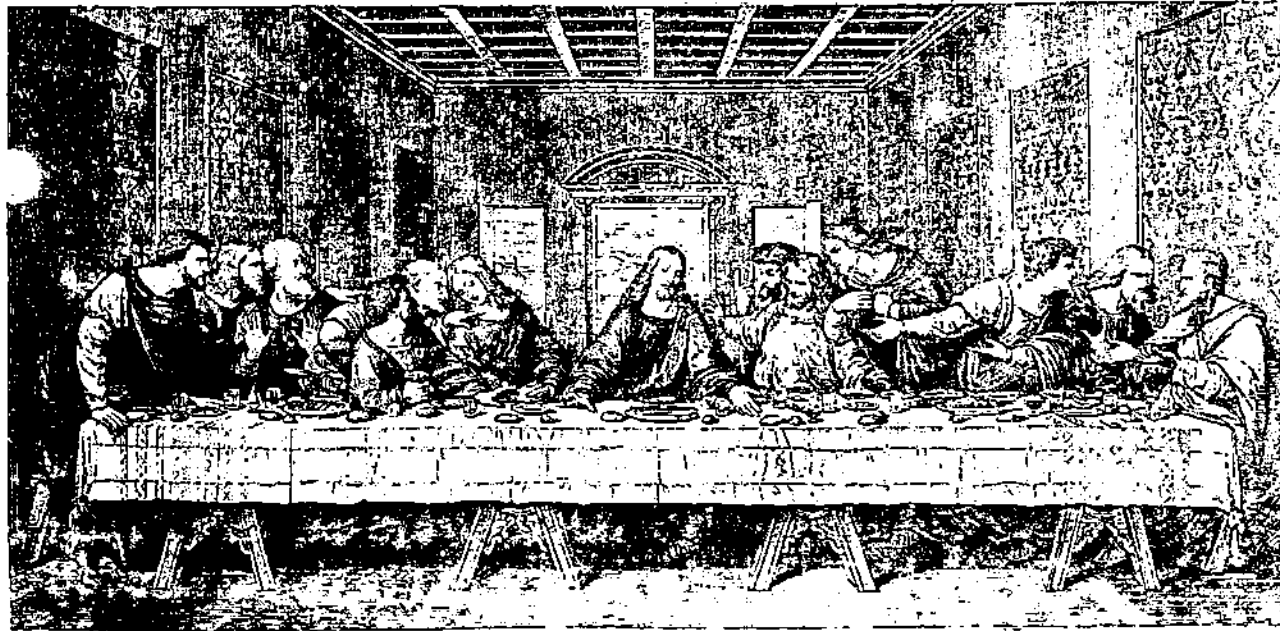
وله أيضاً جزء من لوحة معلمه فيروتشي (تعميد المسيح) ، قام ليوناردو بتصوير الملاك عليها ، وهي محفوظة بأكاديمية فلورنسا وصورة العذراء مع الطفل (متحف ميونيخ) ١٤٧٨ ، وقبالة المسيح مع القديس ليوناردو والقديسة لوتشيا (جاليري برلين) وصلاة الملوك الثلاثة للمسيح ، وهي صورة لهيكل كنيسة عملت لوضع التذكرة والتصميم باللون الاسمر (جاليري الفاتيكان) . ولعل آخر صورتين للرحلة الأولى في خلقه الفني هما الصورتان المتشابهتان اسما وموضوعا (الماذونا في المغارة) ، الأولى من

أما مميزات القبة فكانت المعرفة والمقدرة والخلق إلى أبعد حدود معانيها كلها . أما المعرفة فقد وصل فيها إلى حدود الدقة فأحاط بالطبيعة إحاطة غريبة ، لاسيما لإمامة بطبيعة الإنسان من الناحية التشريحية والفسولوجية ، أعان ما يفهم من إشارات الأيدي وأوضاعها ، وما تعبر عنه كل إشارة وما يقصد بكل وضع لها ، ودرس حياة الحيوان وحياة النبات ، وأخيرا المناظر الطبيعية الشاملة لكليهما ، فضلا عن محبة الطبيعة للحيوانات ، ورغبته البالغة في مراقبتها ودراستها .

كان له الفضل في تأسيس منهج جديد في التصوير فجعله نابضا بالحياة ، كما خلق فيه الظل والنور الممزوجين كاللدخان ، بخلا كلاهما من خطوط التحديد ، وأصبح النور مندجاً في الظل متداخلاً فيه لا يستطيع الناظر إليه أن يحدد موضع الفصل بينهما .

ووصل بتسجيله للواقع إلى أبعد ما يمكن الوصول إليه وهو المثل الأعلى في الجمال ، وكان التكوين الكلاسيكي مذهبه ، كما كان الانسجام روح هذا المذهب .

وتوفر معنى الاستاذية في الانشاء الموضوعي لكل لوحاته ، لمعق بحثه ، ورقة تأثره ، وبعده عن العنف التكويني إلا في بعض لوحاته التي أصدرها في المرحلة الأخيرة من حياته ، نخلق بريشته شعراً متثوراً ، يذهب بالمشاهد إلى استمتاع العاشق بالقرب عن معشوقه ، كما لا يحرم المعشوق من كل معاني المديح والاطراء ، فتراه يظهر أجسام النساء جميلة صحيحة منسجمة التكوين بعيدة عن التكلف أو التعمد .



٢ - العشاء الأخير ، ميلانو - سانتا ماري دي لاجوانيا